منسي: إنسان نادر على طريقته للطيب صالح «مقاربة سيميائية»

دكتور/ عثمان محمد عثمان الحاج كنه[1]

الملخص

تناول البحث كتاب الطيب صالح (منسي: إنسان نادر على طريقته!) والذي ضم عددًا من المقالات عن سيرة المنسي، وذلك من خلال المنهج السيميائي باعتباره المنهج المناسب لمثل هذه الدراسات، لفك رموزها واستنطاق إشاراتها عن طريق الفهم والتأويل ، وخلص البحث الى نتائج منها : ارتبط عنوان النص ارتباطاً وثيقاً مع المضمون ، وأن الصورة المصاحبة للنص بمكوناتها تكاد تتطابق مع النص ، والطيب صالح بتأملاته الفلسفية في الحياة استطاع أن يسجل بعض الوقائع التاريخية في حياة الأمة العربية

Abstract

The research dealt with Tayeb Salih`s book (Mansi: Insan Nader ala Taregatawho); Forgotten: A Rare Human in His Way!, Which included a number of articles on the biography of the Mansi, through the semiotic method as the appropriate approach for such studies, to decipher their codes and interrogate their references through understanding and interpretation. the research concluded with results, including: The title of the text was closely linked with the content, and that the accompanying image of the text with its components almost coincides with the text, and Tayeb Salih, with his philosophical reflections on life, was able to record some historical facts in the life of the Arab nation.

(١) جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمـــة

تعد الإبداعات الأدبية أهم ماتحمله أي أمة من الأمم في ذاكرتها الحضارية الممتدة عبر العصور، كما تعد واحدة من مقوماتها الأساسية، التي تمت عبر سلسلة من التطورات التي سجلها الأدباء والعلماء والدارسون في العديد من المؤلفات والأعمال الأدبية التي خرجت من رحم خيالهم، وعلى ضوء ذلك تناول البحث كتاب الطيب صالح[1] (منسي: إنسان نادر على طريقته) الذي ضم عدداً من المقالات عن سيرة المنسي المولود في عمق صعيد مصر.. الرجل الذي قطع رحلة الحياة القصيرة وثبًا وشغل مساحة أكبر مما كان متاحًا له، وأحدث في حدود العالم الذي تحرك فيه ضوضاء عظيمة.. ولد على ملة ومات على ملة، حمل عدة أسماء للشخصية المرحة خفيفة الظل.. الأقرب إلى القزم.. مترهل الجسد.. صاحب الكرش الممثل الفاشل الذي يزعم أنه أكثر وسامة من أعظم الفنانين.. رجل الأعمال الناجح.. والإنسان القادر على مجابهة أصعب المواقف.

وكتاب "منسي: إنسان نادر على طريقته" للطيب صالح عبارة عن لون من ألوان المقالة الموضوعية، أي المقالة التاريخية التي تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق، وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها. وللكاتب أن يتجه في كتابتها اتجاهًا موضوعيًا صِرفًا تتوارى فيه شخصيته، وله أن يضفي عليها غلالة إنسانية رقيقة، فيزينها بالقصص، ويربط بين حلقات الوقائع بخياله، حتى تخرج منها سلسلة متصلة مستمرة. والطيب صالح سخيُّ العطاء، وتدفقت رواياته ومقالاته عبر الكثير من كبريات المجلات العربية والأجنبية.

(١) ولد في ١٢ يوليو عام ١٩٢٩م في منطقة مروى شمالي السودان بقرية كَرْمَكوْل بالقرب من قرية دبة الفقراءوهي إحدى قرى قبيلة الركابية المعروفة. تعلم في جامعة الخرطوم ومن ثم في جامعة لندن. له كتب عديدة منها الروايات التي ترجمت إلى أكثر من ثلاثين لغة،ومن تلك «موسم الهجرة إلى الشمال» و«عرس الزين» و«مريود» و«ضو البيت» و«دومة ود حامد» و«منسى».. توفي يوم الأربعاء ١٨-٢-٢٠٠٩ في أحد مستشفيات العاصمة البريطانية لندن حيث كان يقيم، وذلك عن عمر يناهز الثمانين عاما، بعد رحلة طويلة في مجال الأدب والثقافة والصحافة، ما حدا بالكثير من النقاد إلى تسميته بـ"عبقري الرواية العربية"، لا سيما وأن إحدى رواياته اختيرت لتنضم إلى قائمة أفضل ١٠٠ رواية في القرن العشرين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونرى من خلال هذا الكتاب أن الطيب صالح يمارس تأملاته الفلسفية في الحياة بين السطور ويسجل الوقائع التاريخية الهامة في حياة الأمة العربية في فترتي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ويكاد يكتب أوتوبيوجرافيا أيضا في هوامش حياة منسي الذي تعرف عليه في العام ١٩٥٣م في هيئة الإذاعة البريطانية، فكنا نعطيه أشياء يكتبها أو يترجمها وأدواراً صغيرة في التمثيليات الإذاعية تعينه على العيش والدراسة [١].

أسباب اختيار البحث:

ومن أسباب اختيار الموضوع اهتمام الدراسين بتراث الطيب صالح، بالإضافة الى جدته التي تسمح لنا بمقاربة جديدة مختلفة في أدب الطيب صالح وهو تراث ضخم وملئ بالجمال والفكر والثقافة، حيث إن أعمال الطيب صالح تبدو بكراً لكل باحث ينظر فيها بالرغم من أن البحوث التي أجريت حول أدب الطيب صالح كثيرة ، وهذا سر إبداع الرجل وخلود أعماله ، ويحاول الباحث إبراز الإسهامات الأدبية وكشف الرؤية المنهجية عند الطيب صالح، وذلك من خلال طرح الأسئلة التالية :

١. ما هي الآليات التي استخدمها الكاتب في نسج مقالاته في كتابة منسي: إنسان نادر على طرقته؟.
٢. ما مدى فاعلية البناء السيميائي في منسي: إنسان نادر على طرقته؟

ويهدف البحث الى تبين معالم التجديد النقدي في التحليل الأدبي ، متخذا المنهج السيميائي أنموذجاً في ممارسته النقدية في تحليل النصوص. لأنه غني وممكن غناه يحدد في أنه يعد النص حاملًا لأسرار كثيرة والدال عليها يستفز القارئ.

(١) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طرقته، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذلك بني البحث من مقدمة وستة محاور الأول تناولت فيه مصطلح السيمياء لغة واصطلاحًا أما الثاني تناولنا فيه صفحة الغلاف والإهداء ومن ثم المحور الثالث الذي تناولت فيه الأسماء ودلالتها والمحور الرابع الصور، والخامس محور البناء الداخلي للشخصيات ثم المحور السادس الذي تناولت فيه الزمان والمكان أما خاتمة البحث تضمنت نتائج البحث وتوصياته والمصادر والمراجع.

المبحث الأول

السيمياء لغة واصطلاحاً

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور: (كلمة سيمياء مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وسم" وأصلها "سمى"، وفي قولهم سوم فرسه أي جعل عليها السيما، وقيل الخيل المسومة التي عليها السيما والسومة وهي العلامة)[1]، كما جاء في معجم العين: (الوسم الوسمة الواحدة شجرة ورقها خضاب، والوسم أثر كي بعير موسوم وسم سمة: يعرف بها من قطع أذن أو كين الميسم: الكواة أو الشيء الذي يوسم به سمات الدواب، فلان موسوم بالخير والشر أي عليه علامته وتوسمت فيه الخير والشر أي رأيت فيه أثراً)[2].

القاموس المحيط هي العلامة[3]، أو الرمز الدال على معنى مقصود؛ لربط تواصل ما. فهي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر، فلا صدفة فيها ولا اعتباط[4]. كما وردت في قاموس معجم اللغة العربية المعاصرة بأنها سحر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لاوجود لها في الحس، تعبير الوجه لشخص ما. والسيمياء

(١) ابن منظور، معجم لسان العرب، مادة (س،و،م)، ج١٥، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م، ص٢١٣.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مادة (و، س، م) مجلد٤، تحقيق عبد الحميد الهنداوي،ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٧١.

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. ، القاموس المحيط، ، مكتبة تحقيق التراث، ط٦، دمشق، ١٩٩٨م، ص ١٢٩٦.

(٤) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠من ص١١-١٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(كم) الكيمياء القديمة وكانت غايتها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، واكتشاف علاج كلّي للمرض ووسيلة لإطالة الحياة. وسيما(مفرد): علامة، هيئة، قال تعالى: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) صدق الله العظيم[١].

أما السيميائية أو السيميولوجياا اصطلاحًا فهي "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية"[٢]. وقد عرفها دو سوسير بأنها عبارة عن علم يدرس الإشارات أو العلامات داخل الحياة الاجتماعية[٣]، وهي في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتمنِّع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن، فهي لاتبحث عن دلالات جاهزة أو معطاة بشكل سابق على الممارسة الإنسانية، بل بحث في شروط الإنتاج والتداول والاستهلال[٤].

حيث تنطلق السيميائية من أن كل نص له شكل ومضمون، والنتيجة التي تريد الوصول إليها هي الكشف عن شكل المضمون. فالسيميائية دراسة شكلانية للمضمون، تمر عبر الشكل لمساءلة الدوال من أجل معرفة دقيقة وحقيقية للمعنى[٥]. فالسيميائية تركيبية الطبيعة، فهي تتركب من "مفاهيم بيولوجية، ومفاهيم فيزيائية، ومفاهيم الذكاء الاصطناعي...فهاجس التركيب موجود عالميًا، ولكنه ينبني على توحيد ابستمولوجي"[٦]. كما تهدف إلى الكشف عن البنيات العميقة المستترة وراء البنيات السطحية، وهي تعمل بالتفكيك والتركيب، وتتحرك عبر مستويين، مستوى سطحي ومستوى عميق، وتبحث في كليهما عن الدلالة. والدلالة هي شكل وليست مادة، وتقوم على مبدأ العلاقات.

(١) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الجزء الثاني، ط١، ٢٠٠٨م، ص١١٤٠.
(٢) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠من ص١٢-١٦.
(٣) ينظر: ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط١، ١٩٨٦م، ص١١٣
(٤) سعيد بنكراد،السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها،ط٣،دار الحوارللنشر والتوزيع ،سوريا، ٢٠١٢م، ص٢٦٥.
(٥) جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت،، مجلد ٢٥، العدد٣٤، مارس ١٩٩٧م، ص٧٩.
(٦) محمد مفتاح، مجلة دراسات سيميائية، العدد ١، ١٩٨٧، ص ١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثاني

سيميائية صفحة الغلاف والإهداء

اهتم علم السيمياء بصفحة الغلاف التي تحمل العنوان في النصوص الأدبية؛ باعتباره علامة إجرائية ناجحة في مقاربة النص بغية استقرائه وتأويله. فاختبار العنوان يشكل عتبة أساسية في تحديد الأثر فالنص الذي بين أيدينا هو بعنوان " منسي: إنسان نادر على طريقته "، للكاتب السوداني الطيب صالح، فاختيار العنوان مركب من جملة اسمية مع عدم تحديد الجنس الأدبي لهذا العنوان، فلا يوجد في الغلاف ما يدل على أنه رواية أو سيرة أو ترجمة، ولكن العنوان بفرعيه الرئيسي (منسي) والشارح (إنسان نادر على طريقته!) يشيران إلى معنى القص وهو محفز للقارئ لاستكشاف هذا الشخص النادر، كما نجد أن اختيار ألوان الخط لها دلالتها فأعطي اللون الأبيض الظاهر لكلمة منسي للدلالة على الأثر الذي سيتركه بينما أعطي اللون الأصفر لبقية العنوان وذلك على خلفية رمادية للدلالة على حجم الغموض الذي اكتنف شخصية منسي، كما أن العنوان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون النص، فهو يتحدث عن شخصية نادرة لديها مغامرات مع مجموعة من الأشخاص، فهو شخص متفرد أو "إنسان نادر على طريقته"، كما جاء على الغلاف، فرأى الطيب صالح أن يكتب عنه ويسجل حياته ليدهش القراء كما أدهشه (منسي) لسنوات طويلة ظل فيها صديقًا حميمًا للكاتب وملازمًا له في معظم تنقلاته.. فقبله على علاته وعواهنه وإن تضجر منه بعض الأصدقاء، "لكنه كان مهمًا في عرف ناس قليلين، مثلي، قبلوه على عواهنه وأحبوه على علاته، رجل قطع رحلة الحياة القصيرة وثباً وشغل مساحة أكبر مما كان متاحًا له، وأحدث في حدود العالم الذي تحرك فيه، ضوضاء عظيمة"[1].

(١) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الكتاب هو سيرة روائية أو رواية السيرة الذاتية خلد فيها الطيب صالح صديقه (منسي)[1] بسرد قصة حياته على شكل رواية- وهذا النوع من الروايات ليس فيه خيال في الأحداث، بل هناك خيال (مقيد) في الوصف- كالمبالغة في الوصف والتشبيهات مثلاً أو ربما في بعض الأحداث الهامشية، المهم أن كل ما فيه هو حقائق ثابتة. إذن فقد جاء عنوان النص ليحدد بالضبط مضمون النص وفكرته العامة، وعند دراستنا للنص كاملاً لا نجده يخرج عن هذا النطاق .

استهل الطيب صالح كتابه "منسي" بالإهداء فمن الطبيعي أن يكون الإهداء الذي يظهر على كتاب (منسي)، الذي تضمن كلمتين وبقيتها كلها مترادفات يقول فيها "إلي روح أحمد منسي يوسف مايكل بسطاوروس"، ويرتبط بتلقيه نبأ وفاة صديقه "منسي" يعبر عن ذوقٍ رفيع للكاتب، وتقديرٍ منه بحق الآخرين، واحترامه لدور من له شأن عنده، أياً كان هذا الشأن، لذلك تبقى نية الكاتب مرهونة بالتقدير تجاه من يُهدى له العمل الإنتاجي، بل يصل الأمر إلى نسق التوافق بين طبيعة الإهداء وما هو منتج والجهة التي يُهدى لها، كما أن متن هذا الكتاب قد يفرض إهداءً معيناً كونه مرتبطاً بالحزن والألم، أم بدلالات يراها الكاتب ذات علاقة بينها وبين مفردات الإهداء.

(١) منسي رجل قبطي من صعيد مصر يدعى مايكل بسطاوروس، الذي أسلم فيما بعد، منسي الفقير الذي أصبح مليونيراً فيما بعد، منسي الذي تزوج حفيدة السير توماس مور مؤلف رواية يوتوبيا، منسي الذي تصادق مع ساموئيل بكت (نعم، هو الكاتب المشهور ذاته)، ومنسي الذي تحدث مع ملكة بريطانيا ودخل قصرها بلا بطاقة دعوة، هذا هو أحمد منسي، مثال (حقيقي) على الشخصية المصرية (الخياليه) التي نشاهدها في بعض الأفلام الكوميدية المصرية، تلك الشخصية التي لا تلوي على شيء، ولا تحسب حساب شيء، ومع ذلك تبتسم له الحياة ابتسامة عريضة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

سيميائية الأسماء الواردة مع النص

للتسمية في التراث العربي سمات ودلالات تحدث عنها قديماً الجاحظ في أكثر من موضع. ولذلك استدعى الاهتمام بأسماء الشخصيات التي لا شك أنها اختيرت عن قصد، بحيث تشير إلى دلالة معينة يوحي بها الاسم بعد أن تتضح صورته في ذهن المتلقي. فاسم مثل "سكينة"، لا ريب أنه يوحي إلى أن المسمى يتسم بالسكينة والوقار والهيبة... واسم كـ"عبد الودود"، و"عبد الباقي"، و"عبد الحميد" ـ وكلها مركبة من "عبد" واسم من أسماء الله الحسنى ـ تدل ولا شك على أن هذه الأسماء الدينية لها مقام في الوسط الاجتماعي.

وشخصية "منسي" في كتاب الطيب صالح حمل عدة أسماء" أحمد منسي يوسف؛ ومنسي يوسف بسطاوروس؛ ومايكل جوزف"، حيث "مثل على مسرح الحياة عدة أدوار، حمالاً وممرضًا ومدرسًا ومترجمًا وكاتبًا وأستاذًا جامعيًا ورجل أعمال ومهرجًا"[1]، ومن الملاحظ أن اسم "منسي" لم يستعمل إلا في مجال النسيان أو في مجال الإرباك حيث يقول عنه الطيب صالح حينما سمع وفاته "ضحكت هكذا (منسي) لغز في حياته ولغز في مماته، لقد أربك الناس حوله وهو حي، وهاهو يربكهم وهو ميت. كانت الحياة بالنسبة له، نكتة كبيرة، وضحكة متصلة لاتنقطع. كانت الحياة، سلسة من (شغل الحلبسة) كما كان يقول"[2].

ولكن لماذا يُستخدم هذا الاسم بالذات في كتابه الذي غرضه الأساسي اجترار الذكريات، ولذلك يمكن ملاحظة بعض الأمور على هذا العنوان، منها :

١- شخصية منسي شخصية فوضوية بسيطة حاضرة في أي وقت في الحقيقة أوفي الذهن.

(١) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طرقته، ص٩.
(٢) المرجع السابق، ص١١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- شخصية جريئة يمكن أن يتخذ أي قرار مهما كان وقعه.

٣- المقصود بمنسي هنا ليس اسما عادياً، إنما المقصود منه صراع بين قوي بمعنى أنه (يمكن أن يفرض شخصيته في أي زمان ومكان) وضعيف بمعنى أنه (يمكن أن يتقبل أي موقف يقع فيه)، وإن كان في ظاهره لايدوم كثيرا أيّاً منهما.

المبحث الرابع

سيميائية الصور الواردة مع النص

يمكن القول إن ما ترمز إليه الصور المصاحبة للنص بمكوناتها وأشكالها وألوانها تكاد تتطابق مع عنوان النص، فالصورة الأولى جاءت مرافقة لإهداء النص، حيث جاءت الصورة تمثل حالة الإرباك التي عاشها منسي حتى بعد مماته، "لقد أربك الناس حوله وهو حي، وهاهو يربكهم وهو ميت"[١]، الصورة الثانية تشتمل علي مقاطع من شخصية منسي فقامته أقصر قريبا من الأقزام مترهل الجسم، له كرش ومؤخرة بارزة، فكأنك تنظر إلي كرة شقت إلي نصفين، ومع ذلك كان شديد العناية بمظهره[٢].

الصورة الثالثة يقدم فيها منسي بخصاله الجميلة والحميدة، وبأنه شخصية بسيطة يحفظ بكل الصداقات، وكانت لديه قدره مذهلة في التعرف بالناس واصطناع الأصدقاء والاحتفاظ بهم. فكان عنده الناس سواسية، الأمير مثل الفقير، يعاملهم ببساطة ودون تكلف، إلا أنه كان يعنى بالفقراء والأطفال عناية خاصة، يكون معهم على سجيته تماماً، ومع الأطفال يكون كأنه طفل[٣]، ويكتب عنه واصفاً "لكننا أصبحنا صديقين حميمين بعد ذلك، بل إنني من سائر أصدقائنا المشتركين، أصبحت بمثابة

(١) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص ١١.
(٢) المرجع السابق، ص١٥.
(٣) لمرجع السابق، ص٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أب روحي له، رغم أننا كنا من سن واحدة"[1].

فظهرت شخصية منسي بهذا التفاوت من خلال هذا التباين الذي توضحه هذه العبارات السابقة لتبين العلاقة بين الكاتب ومنسي، هذه العلاقة العاطفية التي تصل أحيانا الى التباين في التصرفات واتخاذ القرارات التي نشعر بأنها تشبع غريزة الكاتب خاصة تلك التي لايستطيع اتخاذها بجرأة تامة، حيث "كان صعباً أن يقتنع الناس أن "منسي" في عبثه وهذره يمكن أن يتقن أي شيء، وقد قضيت كل سنوات معرفتي له، أحاول أن أقنع الناس، أنه إنسان عنده مواهب، وأنه يتقن أشياء كثيرة"[2].

المبحث الخامس

سيميائية البناء الداخلي للشخصيات الواردة مع النص

وردت في النص عدة شخصيات (منسي، الكاتب نفسه، صمويل بكيت، توينبي بل، الملكة اليزابيث، عدد من الشخصيات العربية مثل عبد المنعم الرفاعي، وأكرم صالح، وعبد الحي عبد الله، ونديم صوالحة وغيرهم)، كانوا على حبهم له، يعاملونه بفظاظة، ولا يأخذونه مأخذ الجد[3].

فقد جعل بعض الباحثين الراوي في كتاب: «منسي» ينتمي إلي نوعية الراوي الذي يحلل الأحداث من الداخل ويكون حاضراً في الرواية، أما آخرون فقد جعلوا الراوي ينتمي إلى نوعية الراوي الشاهد والمراقب[4].

(١) المرجع السابق، ص١٣.
(٢) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص١١.
(٣) المرجع السابق، ص١٣.
(٤) أحمد العزي صغير، تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية دراسة موازنة، وزارة الثقافة والسياحة؛ صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا حاولنا أن نرصد اللبنات أو الشرائح الكلية التي بنى من خلالها الطيب صالح منسي المتعدد الشخصيات سنجدها كثيرة ومتعددة فهو في الهند هندي وفي بريطانيا انجليزي، وتتشارك حتى مع الخصائص الجسمانية لمنسي "فقد كانت تناقضات الحياة تستهويه وتنعش روحه كما ينتعش النبات بالماء.."[1]، فبناء شخصية منسي أمرها عجيب فقد كانت من ميزاته الكبرى في الحياة، أنه لايخجل ولايهاب ولايبالي ولايحس بالحرج[2]، ولديه قدرة خارقة على الاكتشاف للأماكن المفيدة له، كما كانت لمنسي جوانب ايجابية كان ذكيًا، حاضر البديهة، يجيد الإنجليزية على خلاف بني جلدته. كان كريمًا حين يجد نفسه في موضع يتطلب الكرم، مما جعله يحتفظ بكل الصداقات التي كونها ويضيف صداقات جديدة.

فكانت شخصية منسي متعددة، حمل عدة أسماء أحمد منسي يوسف، ومنسي يوسف بسطاوروس، ومايكل جوزيف، وعمل حمالًا وممرضًا ومدرسًا وممثلًا ومترجمًا وكاتبًا وأستاذًا جامعيًا ورجل أعمال ومهرجًا،ولد على ملة ومات على ملة.ترك أبناء مسيحيين وأرملة وأبناء مسلمين،حين عرفته أول مرة، كان فقيرًا معدماً، ولما مات ترك مزرعة من مائتي فدان من أجود الأراضي في جنوب إنجلترا..[3]، حيث يريد أن يقول إنه عرفه فقيرًامعدمًا ولما مات كان غنيًا، وذلك مما وفر للكاتب كنزًا ثمينًا ليكتب عنه هذه الرواية ذات الأصوات المتعددة. حيث أظهر منسي حبه للطيب صالح بطرق مختلفة منها مثلًا مرافقته في الأسفار من بلد لبلد وكلاهما محب للسفر. ويمكن أن يستفيد النقد الأدبي من رواية منسي بأكثر من غيرها في الكشف عن الأسرار العصية، عن الشرائح التصويرية، وعن الجمل القصصية المتخيلة التي يستخدمها الطيب صالح في بناء شخوص رواياته.

(١) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص٢٤.
(٢) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ، ص ١٢.
(٣) المرجع السابق، ص٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحور السادس

سيمياء الزمان و المكان و العلاقة بينهما

إن العلاقة بين الزمان و المكان هي علاقة تكامل، فكل منهما يكمل الآخر فلا وجود من ثم دون الآخر، يقول محمد مفتاح: (إن الزمان بأنواعه المختلفة إطاره هو المكان الذي ينجز فيه، ولذلك فإنه لامناص عنه)[1]، ولذلك نرى أن الطيب صالح يمارس تأملاته الفلسفية في الحياة بين السطور ويسجل الوقائع التاريخية الهامة في حياة الأمة العربية في فترتي الخمسينيات و الستينيات، ويكاد يكتب أوطوبوغرافيا أيضاً في هوامش حياة منسي، فالزمن الذي حدثت فيه الأحداث المفترضة المذكورة في النص، فإنها تشمل الفترة التي ربطت بين منسي و الكاتب (فأحداث هذا النص حدثت في فترة حياة منسي)، فهو دائماً يعيش مسانداً له حسب قوله، فضمير السرد الذي يهيمن على البنية السردية في الرواية هو ضمير المتكلم الذي ينطلق منه الراوي الأول في الرواية: «فضمير (الأنا) هو الضمير الذي تروي من خلاله الشخصية الروائية الواقعة في الزمن الحاضر الذي هو زمن السرد عن أحداث وشخصيات تقع في الزمن الماضي الذي هو زمن الحكاية، مما يوهم القارئ و الحال هذه أنها ضرب من السيرة الذاتية أو المذكرات الاعترافية (الطبوغرافية)»[2]، حيث يقول: (كذلك كنت أول عربي يرسلونه إلى نيويورك لـ (تغطية) اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ذلك الحدث المشهود الذي أمه معظم زعماء العالم..)[3]، حيث (كان نصيبي من السفر في مهمات رسمية أكثر من غيري، وكان كلما يجد أمر يضفي بريقاً ويزيد من الحسنات التي تسجل في التقارير السنوية، يقولون "فلان" في أغلب الأحيان)، ولكنه كان يعرض له منسي في سفرياته (كما عرض إبليس

(١) محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م، ص٩٦.
(٢) أحمد العزي صغير،تقنيات الخطاب السردي بين الرواية و السيرة الذاتية دراسة موازنة، وزارة الثقافة و السياحة؛ صنعاء، ٢٠٠٤م، ص٣٥.
(٣) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لآدم عليه السلام في الفردوس)[1].

ثم نتعرف من خلال الكتاب على عشق الطيب صالح وارتباطه بقضايا وبعدة مدن كـ(بيروت) التي حل فيها هو وصديقه منسي «ليلة الحرب!» "وصلنا مطار بيروت أوائل المساء في ذلك اليوم من عام ١٩٥٧م، الذى أصبح يؤرخ به فيما بعد على أنه البداية الحقيقية للحرب اللبنانية الحرب التي لم تضع أوزارها.."[2]، وأنها أول من أخرجت مؤلفاته إلى النور "أول مانشر لي نشر في بيروت، أول ماعرفت.. عُرفت في بيروت، وقد رأيت جبالاً وثلوجًا وبحارًا ومدنًا أكبر وعوالم أرحب لكن هذه المدينة كأن بيني وبينها وشائج من عهد غابر ومثلي كثيرون"[3]، ثم الدوحة وعمله كمستشار لوزير الثقافة هناك "كنت قد تركت الدوحة في عز الصيف ونسيت أن الصيف في الدوحة شتاء في سيدني، وفي عز الصيف، من يذكر الشتاء؟.. لذلك لم آخذ للبرد عدته[4]، وبالطبع لندن حيث عاش معظم حياته وتزوج فيها " عرفته في العام ١٩٥٣م، أول عهدي بهيئة الإذاعة البريطانية، فكنا نعطيه أشياء يكتبها أو يترجمها وأدوار صغيرة في التمثيليات الإذاعية تعينه على العيش والدراسة[5]، وأثناء عمله في هيئة الإذاعة البريطانية أرسل الى نيويورك لتغطية اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث أنه أول عربي يرسل من هيئة الإذاعة البريطانية لتغطية اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، كما أنه تحدث عن إثارة القضية الفلسطينية في ذلك الاجتماع من قبل العرب حيث إنهم كانوا مجمعين على نصرة القضية الفلسطينية، وتأييد كفاح الجزائر الذي كان قد اينع وحان قطافه[6]، كما يطرح بعض المصاعب التي تواجه الوطن العربي وتؤثر في وحدته ويعطى الحلول إذ يقول "لو كان لي من

(١) لمرجع السابق، ص٣٦.
(٢) المرجع السابق، ص١١١.
(٣) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص١٢٨.
(٤) المرجع السابق، ص١٣٠.
(٥) المرجع السابق،ص١١.
(٦) المرجع السابق،ص٣٤-٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمر شيء، لربطت العالم العربي كله، من طنجة إلى مسقط، ومن اللاذقية إلى نيالا، بشبكة من السكك الحديدية..الخ"[1]، حيث يعد الوصف دعامة أساسية من الدعامات التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ وهو أداة فاعلة في التعريف واستقصاء جوهر وتجسيد عمقه الحضاري[2]، كما تحدث عن حركة منسي الذي لايهدأ ولا يستقر في مكان واحد أو مدينة واحدة ونظرته لكسب الوقت وأن الزمن له قيمة لابد من الاستثمار فيه "ومن حسن (بكت) أن (منسي) كان يلمّ بباريس كما يهب الإعصار، فيمكث اليوم أو اليومين ثم يختفي، و(بكت) يقضي معظم وقته في الريف فكان منسي يصادفه أحيانا أو لا يصادفه"[3].

خاتمـــة

إن الطيب صالح في هذا الكتاب يسرد وبأسلوب طريف وبإحساس مرهف فيه كثير من الدعابة، عن غرائب منسي. الذي ينجح في كسر حصن الكاتب المنعزل صمويل بكيت ويؤانسه، وينازل السياسي همرشولد ويهزمه، ويجادل المؤرخ توينبي بل ويخترق حاجز الملكة اليزابيث نفسها، فهو لا يهاب شيئاً، ويصادق نصف سكان بريطانيا بمختلف الطبقات، وهو من ورائه يتعجب ويسجّل، وإن أوقعه في عدة مقالب في لندن وبيروت والهند وأستراليا.. ثم يموت منسي وهو في أميركا داعية إسلاميّاً ثرياً، وقد ولد وعاش معدمًا..ولقد خلصت الدراسة الى الآتي:

١- إن اختيار العنوان يشكل عتبة أساسية في تحديد الأثر، فهو مركب من جملة حيث اختار ألوان الخط التي لها دلالتها على الأثر الذي سيتركه بينما أعطي اللون الأصفر لبقية العنوان وذلك على خلفية رمادية للدلالة على حجم الغموض

(١) المرجع السابق، ص٦٧.

(٢) جواد هنية، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣م، ص٢٠٦.

(٣) الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته، ص٥٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي اكتنف شخصية منسي، وهذا العنوان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمضمون النص، كما يصل الأمر إلى نسق التوافق بين طبيعة الإهداء وما هو منتج والجهة التي يُهدى لها.

٢- استدعى الاهتمام بأسماء الشخصيات التي لا شك أنها اختيرت عن قصد، بحيث تشير إلى دلالة معينة يوحي بها الاسم بعد أن تتضح صورته في ذهن المتلقي، حيث وردت في النص عدة شخصيات (منسي، الكاتب نفسه، صمويل بكيت، توينبي بل، الملكة اليزابيث، عدد من الشخصيات العربية مثل عبد المنعم الرفاعي، وأكرم صالح، وعبد الحي عبد الله، ونديم صوالحة وغيرهم..)، كان لكل شخصية سماتها الواضحة وأثرها في بناء النص كما أنها جاءت متكاملة مع بقية الشخصيات.

٣- يمكن القول إن ما ترمز إليه الصور المصاحبة للنص بمكوناتها وأشكالها وألوانها تكاد تتطابق مع عنوان النص، فمثلًا جاءت الصورة الأولى مرافقة لإهداء النص، حيث مثلت حالة الإرباك التي عاشها منسي حتى بعد مماته.

٤- إن العلاقة بين الزمان والمكان هي علاقة تكامل، فكل منهما يكمل الآخر فلا وجود لأحدهما دون الآخر، ونرى أن الطيب صالح يمارس تأملاته الفلسفية في الحياة بين السطور ويسجل بعض الوقائع التاريخية في حياة الأمة العربية.

٥- كما نوصي بأن يكتب عن الطيب صالح وكيفية بناء شخوص كتابه منسي: إنسان نادر على طريقته! وستكون الدراسة بناءً متفرداً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

المصادر:

١. الطيب صالح: منسي: إنسان نادر على طريقته!، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

المراجع:

١. ابن منظور، معجم لسان العرب، ج١٥، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.

٢. أحمد العزي صغير، تقنيات الخطاب السردي بين الرواية والسيرة الذاتية دراسة موازنة، وزارة الثقافة والسياحة؛ صنعاء، ٢٠٠٤م.

٣. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الجزء الثاني، ط١، ٢٠٠٨م

٤. ترنس هوكز، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط١، ١٩٨٦م.

٥. جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٥، العدد٣٤، مارس ١٩٩٧م.

٦. جواد هنية، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، رسالة دكتوراه، جامعةمحمدخيضربسكرة، الجزائر، ٢٠١٢/٢٠١٣م.

٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، مادة (و، س، م) مجلد٤، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، ط١، ٢٠٠٣م.

٨. سعيد بنكراد، السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ط٣، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٢م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
١٠. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ، مكتبة تحقيق التراث، ط٦، دمشق، ١٩٩٨م.
١١. محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، المغرب، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.
١٢. محمد مفتاح، مجلة دراسات سيميائية، العدد ١، ١٩٨٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com